

Submission date: 02/12/2016

Accepted date: 15/03/2017

آراء الإمام الشافعي في ذم علم الكلام: نظرة موضوعية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

*Imam Shafie's Views in Condemning Ilm Al Kalam:
Doctrine of the Ahl Sunnah Waljama'ah*

Afuwardeen Abdulmuthalif^{a1}, Ahmad Baha Mokhtar^{a2} & Ahmad Najaa'
Mokhtar^{b3}

^aSultan Sharif Ali Islamic University, Brunei Darussalam

^bUniversity Sains Islam Malaysia

afuwar@yahoo.com

ملخص البحث

إن علم الكلام منذ نشأته أصبح مثار جدل ومناقشة مستمرة إلى الآن، وقد صار العلماء بين تأييده والدفاع عنه وذمه والتغيير منه إلى فرق ومذاهب. ويدور هذا البحث -أخذاً في الاعتبار ما أسلفنا ذكره- حول معرفة موقف الإمام الشافعي من علم الكلام. ويتكون هذا البحث من مقدمة لعرض مفهوم علم الكلام وعلاقته بالعقيدة وثلاثة مباحث. والمبحث الأول يتناول القضايا العقدية وآراء سلفنا الصالح فيها قبل الإمام الشافعي. والمبحث الثاني يتركز على إبراز موقف الإمام الشافعي من علم الكلام لنعرف بالتحديد أي علم الكلام كان يقصده الإمام الشافعي، ومن ثم ما إن كان الإمام من مادحيه أو ناقديه. والمبحث الثالث يختص بتبرئة الأشاعرة من علم الكلام المذموم. والبحث في تحقيق أهدافه وإنجاز مراده يعتمد على المناهج الوصفية والنقدية والمقارنة. ومن خلال هذا البحث يتبين جلياً ذم الإمام الشافعي للفكر اليوناني الوافد ولكل ما تأثر به من فكر ومذاهب تصطدم مع ما تقرر من المسائل العقدية في القرآن والسنة، وهجومه العنيف على هذه الفرق، ودفاعه الحار لما عليه أهل السنة والجماعة من عقيدة

¹ محاضر بكلية أصول الدين، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، بروناي دار السلام. (afuwar@yahoo.com)

² محاضر بكلية أصول الدين، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، بروناي دار السلام.

(baha.mokhtar@unissa.edu.bn)

³ محاضر بكلية الإدارة والقيادة، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، ماليزيا. (najaa@usim.edu.my)

قائمة على ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وفهمه العقل السليم المؤيد بنور الله.

الكلمات المفتاحية: الشافعي، علم الكلام، ذم، أهل السنة والجماعة، العقيدة.

Abstract

The discipline of Ilm al Kalam has become a matter of dispute since its beginning. This led the Islamic scholars to take either positive side in supporting and defending it or negative side in criticizing and condemning it. This research paper attempts to understand Imam Shafie's stand with regard to Ilm al kalam. The research paper starts with an introduction and three chapters. Introduction illustrates the concept of Ilm al kalam and its connection to the Islamic creed. The first chapter discusses the issues related to Islamic creed and our great ancestors' views and opinions in this regard before Imam Al Shafie. The second chapter concentrates on Imam Shafie's attitudes towards Ilm al Kalam to clearly define which Ilm al kalam was meant by Imam al Shafie through his views on it and to know definitely whether He praised this discipline or condemned it. The third chapter solely concentrates on exempting Asharie Imams and Scholars from the negative Ilm al Kalam which was condemned by the great ancestors. In order to attain its objectives and the aimed target, this research adopts both descriptive and critical methods. Through this research paper, it is clearly understood that the direct condemnation of Imam al Shafie goes to the Greek philosophy in the metaphysical issues and to all the thoughts and schools which were influenced by Greek philosophy against the holy Quran and prophetic Sunnah. His strong opposition to those sects and his strong support to the theological views of Ahl as Sunnah wa al Jama'ah are based on Al Quran and authentic Sunnah and understood by the pure reason supported by the light of Allah almighty.

Keywords: Shafie, ilm al kalam, condemn, Ahl as Sunnah wa al Jama'ah, aqidah

المقدمة

لا شك أن عقيدة الإسلام هي المحور الأساسي الذي تنبني عليها شريعة الإسلام وجميع الأحكام المتعلقة بين نفسه وبين الله سبحانه وتعالى ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبين إخوته بني البشر. وهذه العقيدة مصدرها خالق الإنسان والكون وحافظه وراعيه وممته ومحبيه ولا يماثله شيء وهو المنزه عن الزمان والمكان والغني عن العالمين. وهذه العقيدة التي تربط الإنسان بالله، وتأخذ بيده إلى ما بعد الموت - بالرغم من كونها راجعا إلى المصدر الإلهي - ارتبطت ارتباطا وثيقا بالعقل. ومن هنا نرى أن العقيدة الإسلامية تحتاج في فهمها وتصديقها والعمل في ضوءها إلى العقل والنقل. وفي أيام البعثة المحمدية كان الرسول صلى الله عليه وسلم مصدر

التبليغ والتوضيح والبيان للعقيدة التي دعا إليها القرآن الكريم. وهذه العقيدة الإيمانية كانت تتلخص في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى. وقد حدد هذه الأركان الستة الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سأله سيدنا جبريل عليه السلام ما الإيمان كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه. وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أمارتها؟ قال: أن تلد الأمة ربثها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال لي: يا عمر، أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم⁴. والعهد النبوي كان يتميز بترسيخ هذه العقيدة في نفوس المسلمين. والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يرجعون إليه صلى الله عليه وسلم في فهم هذه العقيدة وفي الاستفسار عما استشكل عليهم من الأمور الغيبية. والسمت الغالب لدى الصحابة كانت معروفا بالتصديق وسرعة العمل بتوجيهات النبي صلى الله عليه وسلم. ولكن الوضع لم يبق كما كان عليه أيام الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد بدأت المحاولات العقلية في فهم القضايا الإيمانية ومناقشتها في عصر الصحابة⁵. وقد ازدادت هذه المحاولات والمناقشات مع اتساع الخلافة الإسلامية واستقرار الدولة الإسلامية من جانب، ودخول أناس من عقائد وديانات مختلفة في الإسلام من جانب آخر. وبالإضافة إلى ذلك بدأت محاولة المنافقين والمعارضين للإسلام والكارهين لعقيدته

⁴ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، 1374هـ، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 3088. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية؛ عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الأولى.

⁵ أول ابن عباس قوله تعالى {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} فقال "يكشف عن شدة" فأول الساق بالشدة. ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في فتح الباري (13 / 428) والحافظ ابن جرير الطبري في تفسيره (29 / 38) حيث قال في صدر كلامه على هذه الآية "قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل يبدو عن أمر شديد". ومنه يتضح أن التأويل كان عند علماء الصحابة.

النيرة تزداد من خلال بث الشبهات حول عقيدة الإسلام والطعن فيها. وقد وصل البحث العقلي والخوض في مسائل العقيدة ومناقشتها من حيث القبول أو الرفض أو التأويل للتوفيق بين العقل والنقل إلى ذروته مع عصر الترجمة ابتداء من أواخر العهد الأموي ثم العهد العباسي وخاصة بعد ترجمة الكتب اليونانية المتعلقة بالفلسفة وبما وراء الطبيعة إلى اللغة العربية. ونتيجة لهذه العوامل الداخلية والخارجية بدأت الآراء والاتجاهات تظهر بين المسلمين في مجال العقيدة. وهذه الخلافات والاتجاهات العقدية لم تكن مجرد اختلاف في الفهم، وخلاف في الرأي بل وصلت إلى التأويل المفرط⁶ والإنكار للنصوص القرآنية والسنة النبوية⁷ كما أدت إلى التبديع والتفسيق والتكفير وتفريق الأمة المحمدية إلى أحزاب وفرق. وقد زاد الطين بلة عندما انحاز بعض الأمراء والملوك إلى فرقة من هذه الفرق أو اتجاه من هذه الاتجاهات، وإجبار الأمة على قبول ما انحاز إليه أهل السلطة.

المبحث الأول: القضايا العقدية عند السلف قبل الإمام الشافعي

إن المسائل العقدية سواء كانت تتعلق بذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وبذات النبي صلى الله عليه وسلم والنبوة أو بالمعاد وما يتبعها من الأمور السمعية كانت تعرض أيام السلف الصالح وتناقش، ويقرر الصحيح الصريح فيه ويبين الغموض منه مع إبطال ما لا يصح في ذلك. وقد وجدنا كل هذه الأمور عند قراءة آيات قرآنية كثيرة وأسباب نزولها وفي كثير من أحاديث نبوية شريفة. وقد ذكر الإمام البيهقي في كتابه القيم المعروف بالأسماء والصفات وغيره من الكتب كثيرا من المسائل العقدية كما وردت في القرآن الكريم وبينته السنة النبوية الشريفة وفهمه الصحابة رضي الله عنهم. فإن الاستفسارات أو المناقشات المتعلقة بذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وفيما يتعلق بالقضاء والقدر قد أثرت بين المسلمين منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد كان صلى الله عليه وسلم يعالج هذه القضايا بالتوضيح والبيان تارة وبالنهى عن الخوض تارة أخرى على حسب نوعية القضية والمسألة. وبالنسبة لما يتعلق بذات الله سبحانه وتعالى قال صلى الله عليه وسلم: «تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ، فَإِنَّكُمْ لَا تَقْدُرُونَ

⁶ ذهب المعتزلة إلى نفي الدليل السمعي الصريح في الرؤية، بل قالوا: ان في السمع ما يدل على أنها لا تجوز ولزمهم أن يأولوا صريح القرآن وصحيح الأحاديث ليوافق ما ذهبوا إليه، كحمل الجبائي قوله تعالى: "ناظرة" في هذه الآية "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" (القيامة 22-23) على معنى الانتظار، وجعل "إلي" يعني النعمة، عبد الكريم تتان ومحمد الكيلاني، عون المرید في شرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة، بيروت: دار البشائر، ط: 1999. ج: 1، ص: 247.

⁷ انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الناشر: دار سحنون، في تفسير قوله تعالى: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (الاسراء: 51) بأن المعتزلة أولت كلمة "رسولا" بالعقل.

قَدْرَةً»⁸ وفيما يتعلق بذات الله سبحانه وتعالى وتنزيهه كان صلى الله عليه وسلم يحرص دائما على سلامة الإيمان بالله دون أن يكون هناك ما يمس بالتشبيه أو التحسيم لكون ذلك شركا ومخالفا لما عليه حقيقة ذاته سبحانه وتعالى كما بينه تعالى بقوله: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [الشورى:11] وبقوله: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ [الأنعام: 103]. وقد روى البيهقي في الأسماء والصفات بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن اليهود والنصارى وصفوا الرب عز وجل. فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشْرًا مِّنْ شَيْءٍ [الأنعام: 91]. ثم بين للناس عظمته فقال: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ [الزمر: 67] فَجَعَلَ وَصْفَهُمْ ذَلِكَ شِرْكًَا. هَذَا الْأَثَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِنْ صَحَّ يُؤَكِّدُ مَا قَالَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ.⁹

وقال ابن عباس في قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون: «أنهم المشبهة آمنوا جحلا وكفروا مفعلا». روت ذلك كتب التفسير مثل تفسير الطبري والرازي والقرطبي والنيسابوري والألوسي وغير ذلك.

وقال الألوسي بعد نقله كلام حبر الأمة ابن عباس: «... وقد يقال نظرا إلى مفهوم الآية: إنهم من يندرج فيهم كل من أقر بالله تعالى وخالقيته مثلا وكان مرتكبا ما يعد شركا كيفما كان»¹⁰

وقد سبق نقل ما أخرجه البيهقي عن ابن عباس بسند حسن: «إن اليهود والنصارى وصفوا الرب عز وجل...» الحديث، ويشهد لذلك أيضًا ما أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده عن عكرمة - تلميذ ابن عباس - وقد سئل عن الآية الكريمة (وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ

⁸ الأصبهاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري، 1408هـ، العظمة، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري الرياض: دار العاصمة، الطبعة: الأولى، ج: 1، ص: 216.

⁹ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُوْجْردي الخراساني، 1993، الأسماء والصفات للبيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، جدة: مكتبة السوادي، الطبعة: الأولى، ج: 2، ص: 171.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [سورة لقمان: 25 / سورة الزمر: 38]. فإذا سئلوا عن الله وعن صفته، وصفوه بغير صفته، وجعلوا له ولدًا، وأشركوا به.¹¹

وإذا تتبعنا سيرة الصحابة رضي الله عنهم وجدناهم يخوضون في مسائل العقديّة وخاصة فيما يتعلق ذات الله سبحانه وتعالى. وقال الصحابي الجليل والخليفة الراشد سيدنا علي رضي الله عنه: «ان الله تَعَالَى خلق العَرْشَ اظهارة لقدرته لا مَكَانًا لذاته. وَقَالَ ايضاً: «قد كَانَ وَلَا مَكَانَ وَهُوَ الْآنَ على مَا كَانَ»¹²

وَقَالَ ايضاً: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ إِلَهًا مَحْدُودًا، فَقَدْ جَهَلَ الخَالِقَ المَعْبُودَ»¹³ المحدود: ما له حجم صغيراً كان أو كبيراً.

وقال التابعي الجليل الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم: «انت الله الذي لا يحويك مكان»¹⁴ وقال ايضاً: «انت الله الذي لا يحويك زمان»¹⁵

وقال الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين رضوان الله عليهم:

« من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك إذ لو كان على شيء لكان محمولاً ولو كان في شيء لكان محصوراً ولو كان من شيء لكان محدثاً»¹⁶

³ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، ج: 16 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000) ص: 287.

⁴ الأسفراييني، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، الطبعة: الثانية، (بيروت: دار الآفاق الجديدة 1977) ص: 321.

⁵ الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج: 1، (القاهرة: السعادة، 1974) ص: 73.

⁶ محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، تحف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين تحقيق، ج: 4، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 1994) ص: 413.

⁷ المرجع السابق.

⁸ عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، ج: 1، (القاهرة: دار المعارف) ص: 29.

قال الإمام المجتهد أبو حنيفة النعمان بن ثابت أحد مشاهير علماء السلف وإمام المذهب الحنفي ما نصه: «وَاللَّهِ تَعَالَى يَرَى فِي الْآخِرَةِ وَيَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ وَهُمْ فِي الْجَنَّةِ بِأَعْيُنِ رُؤُوسِهِمْ بِأَلَّا تَشْبِيهِ وَلَا كَيْفِيَّةَ وَلَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ مَسَافَةٌ»¹⁷

وقال أيضا: « قَلْتُ أَرَأَيْتَ لَوْ قِيلَ أَيْنَ اللَّهُ تَعَالَى فَقَالَ يُقَالُ لَهُ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَا مَكَانَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمْ يَكُنْ أَيْنَ وَلَا خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ»¹⁸

وهذه النصوص القرآنية والسنة النبوية وأقوال الصحابة والأئمة المجتهدين قبل الإمام الشافعي خير دليل على حجية الخوض في مسائل العقيدة بغية الفهم الصحيح لها وتنزيه ذات الله سبحانه وتعالى وتبرئته من التشبيه والتجسيم. واستنادا إلى هذه النماذج، ينبغي علينا أن نختاط عندما نقرأ أقوالا منسوبة إلى الإمام الشافعي في ذم علم الكلام، والجدير بالذكر أن أئمة الأشاعرة والماتريدية الذين خاضوا في علم الكلام مبينين المسائل العقدية ومدحضين شبه الطاعنين والمنكرين أتوا بعد الإمام الشافعي وليس قبله.

فقبل أن ننظر في تلك النصوص المنسوبة إلى الإمام الشافعي في ذم علم الكلام يحسن بنا أن نحدد أولا مفهوم علم الكلام ومقاصده كما بينه أئمتنا المتكلمون ممن اشتغلوا في القضايا العقدية مستبصرين وجه الحق ومستنيرين باللطف الإلهي والتأييد النبوي صلى الله عليه وسلم.

المطلب: تعريف علم الكلام

قال الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين، كتاب العلم، الباب الثالث: (القدر المحمود من العلوم المحمود):¹⁹ (وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير، وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الأمور من غير طريقها، ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر، وهو القدر الذي أوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب، والاقتصار فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة، وهو الذي أوردناه في كتاب الاقتصاد

¹⁷ أبو حنيفة النعمان بن ثابت، ، الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهاء الأيسر والأكبر)، الطبعة: الأولى (الإمارات: مكتبة الفرقان العربية، 1999) ص: 53.

¹⁸ المرجع السابق، ص: 161.

¹⁹ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، ج1 (بيروت: دار المعرفة) ص40.

في الاعتقاد، ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع، ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي، وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم.... إلخ" ...

ومن هذا النقل يتبين وظيفة علم الكلام أو علم التوحيد عند الأشاعرة، وأنه حجج منطقية عقلانية لدفع شبه المبتدعين وتثبيت عقائد أهل السنة... وحماتها ضد أي تشكيك... وبالتالي لا يمكن لعاقل أن يذم مثل هذا العلم.

ويقول الإمام الإيجي معرفاً لعلم الكلام في المواقف: هو²⁰ "علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها".

والإمام الجرجاني في التعريفات يعرف بمزيد من البيان حيث يقول: هو "علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته، وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام، والقيود الأخير لإخراج العلم الإلهي للفلاسفة"²¹.

وكذلك يعرفه طاش كبري زاده، بأنه: "علم يقتدر معه على إثبات الحقائق الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها" ثم يقول: وبالجملة يشترط في الكلام أن يكون القصد فيه تأييد الشرع بالعقل وأن تكون العقيدة مما وردت في الكتاب والسنة. ولو فات أحد هذين الشرطين لا يسمى كلاماً أصلاً"²².

ويعرف العلامة ابن خلدون علم الكلام بقوله:²³ هو علم يتضمّن الحجج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرّد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة.

²⁰ الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، ج:1، (بيروت: دار الجيل، 1997) ص:31.

²¹ الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، الطبعة: الأولى (بيروت: دار الكتب العلمية 1983) ص: 185.

²² يحيى هاشم فرغل، مداخل إلى العقيدة الإسلامية، 1985 ص: 66-67.

²³ ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، الطبعة: الثانية، (بيروت: دار الفكر، 1988) ص: 580.

ويقول الشيخ ابن تيمية:²⁴ وَهَذِهِ الْعَقَائِدُ الَّتِي يُسَمِّيهَا هَؤُلَاءِ الشَّرِيعَةَ هِيَ الَّتِي يُسَمِّي غَيْرُهُمْ عَامَّتَهَا " الْعَقَلِيَّاتِ " وَ " عِلْمُ الْكَلَامِ " أَوْ يُسَمِّيهَا الْجَمِيعُ " أَصُولُ الدِّينِ " وَيُسَمِّيهَا بَعْضُهُمْ " الْفِقْهَ الْأَكْبَرَ " وَهَذَا نَظِيرُ تَسْمِيَةِ سَائِرِ الْمُصَنِّفِينَ فِي هَذَا الْبَابِ .

يقول الإمام الشعراي:²⁵ اعلم رحمك الله أن علماء الإسلام ما صنّفوا كتب العقائد ليثبتوا في أنفسهم العلم بالله تعالى وإنما وضعوا ذلك ردعا للخصوم الذين جحدوا الإله أو الصفات أو الرسالة أو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالخصوص أو الإعادة في هذه الأجسام بعد الموت ونحو ذلك مما لا يصدر إلا من كافر. فطلب علماء الإسلام إقامة الأدلة على هؤلاء ليرجعوا إلى اعتقاد وجوب الإيمان بذلك لا غير، وإنما لم يبادروا إلى قتلهم بالسيف رحمة بهم ورجاء رجوعهم إلى طريق الحق فكان البرهان عندهم كالمعجزة التي ينساقون بها إلى دين الإسلام. ومعلوم أن الراجع بالبرهان ليس كذلك أصح إيماناً من الراجع بالسيف، إذ الخوف قد يحمل صاحبه على النفاق، وصاحب البرهان ليس كذلك. فلذلك وضعوا علم الجوهر والعرض وبسطوا الكلام في ذلك ويكفي في المصير الواحد واحد من هؤلاء.

ومن خلال هذه التعاريف المتنوعة من المتكلمين وعلماء الاجتماع والصفوية نفهم جلياً اعتراف الجميع بفضل علم الكلام من حيث توضيح القضايا العقدية وتبسيطها والدفاع عنها ورد شبهات المعارضين والمعاندين والمنكرين.

وإذا كان القرآن الكريم جاء يبين عقيدة التوحيد مع إبطال كل ما يخالف هذه العقيدة، والرسول صلى الله عليه وسلم يقرر هذه العقيدة بأحاديثه وسننه، وسلفنا الصالح بنوا كل إيمانهم وجهودهم الذهنية والقلبية والبدنية على أساس هذه العقيدة النيرة فلا يمكن أن يكون هو المقصود بما ذكره الإمام الشافعي وغيره من سلفنا الصالح في ذم علم الكلام أو أن يكون مستهدفاً إلى علم الكلام الذي ذكرنا تعاريفه من حيث الموضوع والغاية. وثقتنا بالإمام الشافعي وغيره من السلف الصالح في فهمهم لعقيدة الإسلام ودفاعهم عنها يقتضي منا نحن الباحثين أن نقرأ تلك النصوص مستوعبين الظروف التي عاشوا فيها هؤلاء الأئمة والشبهات التي أثّرت

²⁴ ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحارثي، مجموع الفتاوى تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج:

19 (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/1995م) ص: 307.

²⁵ عبد الوهاب بن علي الشعراي، اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر الصوفية (القاهرة: دار إحياء التراث العربي) ص

أمامهم حول العقيدة من قبل المعاندين أو المتأثرين بعقائد وفلسفات لا تقر بها الإسلام. وإذا أخذنا النصوص المذمومة لعلم الكلام على إطلاقها فإنه يدفعنا إلى رمي كل الجهود التي بذلها علماءنا المتكلمون في خدمة العقيدة والدفاع عنها. ومعظم علمائنا المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية نجدهم من العلماء المعترين في الفقه وأصوله وفي التفسير والحديث. والتشكيك في عقيدتهم وفيما صنفوا من كتب في العقيدة لا شك يؤدي في النهاية إلى التشكيك في كل أعمالهم العلمية الأمر الذي يؤدي إلى هدم عقيدة الإسلام وشريعته معا. ولولاهم لما وصل نور الإسلام على صفائه ونقائه إلى يومنا هذا. ومن هنا نحاول أن ننظر فيما ذكره الإمام الشافعي من ذم لعلم الكلام بعين الإنصاف في المبحث التالي.

المبحث الثاني: النصوص المنسوبة إلى الإمام الشافعي في ذم علم الكلام

وقد نقل حجة الإسلام الإمام الغزالي الشافعي الأصولي المدقق في كتابه القيم والمشهور "إحياء علوم الدين" عدة نصوص للإمام الشافعي في ذم علم الكلام. ومنها "قال ابن عبد الأعلى رحمه الله سمعت الشافعي رضي الله عنه يوم ناظر حفصاً الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول لأن يلقي الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشيء من علم الكلام ولقد سمعت من حفص كلاماً لا أقدر أن أحكيه. وقال أيضاً: قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط ولأن يبتلى العبد بكل ما نهي الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام.²⁶

وحكى الكرابيسي أن الشافعي رضي الله عنه سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصاً الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعي رضي الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له من أنت فقال حفص الفرد، فقال: لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه.²⁷

²⁶ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، إحياء علوم الدين، ج1 (بيروت: دار المعرفة) ص40.

²⁷ المرجع السابق.

وقال أيضاً: لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد وقال أيضاً إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له.²⁸

قال الزعفراني: قال الشافعي: حكمني في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجرید ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام".²⁹

المبحث الثالث: عرض آراء الإمام الشافعي في ذم علم الكلام

إن من أهم ما تتميز به عقيدة أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً تمسكها بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة واعترافها بعدالة الصحابة وفضلهم على بقية أمة الإسلام. ومن أكبر دعامة أهل السنة والجماعة وسر انتشارها وقوة بقائها إلى الآن منهجها العقدي المتميز الذي جمع بين الوحي المعصوم والعقل المستنير دون إفراط لطرف أو تفريط. وخدمة الإمام الشافعي في فهم الإسلام والعمل به وفي ازدهار الفكر الإسلامي وبالأخص في الفقه الإسلامي وأصوله ما زالت مصدر الإلهام والإنارة لأقطاب الفكر وأئمة المسلمين. ومن هنا نرى واجبا علينا أن نعرض آراءه في ذم علم الكلام في ضوء ما تقرر في عقيدة أهل السنة إجلالاً للإمام الشافعي ومكانته العلمية من جانب وتقديراً للمنهج الوسطي المستنير الذي انفردت به عقيدة أهل السنة والجماعة من جانب آخر.

المطلب الأول: المقصود من ذم علم الكلام عند الإمام الشافعي وغيره من السلف

وقد ذكر الدكتور محمود حسن الشافعي³⁰ ظهور أصوات تدعو إلى هجر هذا العلم أو تحريم النظر في الكتب الكلامية في مراحل متعاقبة من أطوار الفكر الإسلامي تتمثل بوادره فيما ينسب إلى الإمامة الأربعة مؤسسي المذاهب الفقهية المعروفة من هجوم على علم الكلام. ومن الفريق المعارض لقيام علم الكلام نجد الإمام مالكا يقول " لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء

²⁸ المرجع السابق.

²⁹ المرجع السابق.

³⁰ حسن محمود الشافعي، المدخل إلى دراسة علم الكلام، الطبعة: الثانية (القاهرة: مكتبة وهبة، 1991) ص 25-33.

"³¹ وقال بعض أصحابه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا، وقد ورد عن الإمام أبي حنيفة أنه نهي ابنه حمادا عن الاشتغال بالكلام، وقد قال حماد: رأيتك وأنت تتكلم فما بالك تنهاني؟ فقال: يابني كنا نتكلم وكل واحد منا كأن على رأسه الطير مخافة أن يزل صاحبه، وأنتم اليوم تتكلمون وكل واحد يريد أن يزل صاحبه، ومن أراد أن يزل صاحبه فكأنه أراد أن يكفره، ومن أراد أن يكفر صاحبه فقد كفر قبل أن يكفر صاحبه.³² والإمام الشافعي كان أكثر نكيرا على المتكلمين حتى أنه يجعل الاشتغال بعلم الكلام من أعظم الكبائر فيقول: " لأن يلقي الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشيء من علم الكلام، والإمام الشافعي كما يقول الدكتور على عبد الفتاح المغربي كان سيء الظن بعلم الكلام وبسوء نتائجه، فقال محذرا من الاشتغال به " لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد وأفتى بأن يضرب أصحاب الكلام بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام ".⁽³³⁾

وموقف الإمام أحمد بن حنبل كان أكثر تشددا من علم الكلام، ومخنته بسبب موقفه من قضية خلق القرآن وما لقي بسببه من الأذى والاضطهاد من قبل أهل السلطة والمعتزلة كان له تأثير كبير فيمن أتوا بعده من المتكلمين، وقد قال الإمام: " لا يفلح صاحب الكلام أبدا، ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل، بل بالغ في ذم هذا العلم وأهله فأفتى بأن علماء الكلام زنادقة⁽³⁴⁾، وقد أفرد الإمام جلال الدين السيوطي كتابا بكامله للتنديد بعلم الكلام والاشتغال به بعنوان "صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام " وأورد فيه أقوالا لكبار الأئمة والمحدثين تحذر المسلمين من هذا العلم والمتكلمين.⁽³⁵⁾

³¹ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، ج: 2 (الدمام: دار ابن الجوزي، 1994) ص: 96.

³² الموفق بن أحمد المكي، محمد بن محمد بن شهاب، مناقب الامام الاعظم أبي حنيفة (حيدر اباد: مجلس دائرة المعارف. 1321هـ).

³³ الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، إحياء علوم الدين، ج1 (بيروت: دار المعرفة) ص40.

³⁴ علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية مدخل ودراسة (القاهرة: مكتبة وهبة، 1986) ص 109، وانظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 1، ص95.

³⁵ لمعرفة بعض ما ذكره الإمام السيوطي في كتابه " صون المنطق والكلام " انظر: عبد الحليم محمود، الإسلام والعقل (القاهرة: دار المعارف، 1980) ص 165-173.

ومن أكبر المؤيدين لهذا الاتجاه في عصرنا الحالي فضلية الدكتور عبد الحلیم محمود الذي يكاد يحرم هذا العلم - على حد تعبير الدكتور محمود الشافعي - في كتابه " المدخل إلى دراسة علم الكلام " ويقول الدكتور عبد الحلیم محمود عند نقل بعض نصوص من كتاب "صون المنطق والكلام ": (نحن نتفق مع الإمام السيوطي اتفاقا كاملا في وجهة نظره في هذا الكتاب).⁽³⁶⁾ وإن كان هذا هو الاتجاه المعارض لعلم الكلام فالإنصاف يقتضينا أن نذكر الاتجاه المؤيد ولو بإيجاز شديد.

المطلب الثاني: المؤيدون :

وعلى رأسهم المتكلمون أنفسهم، ويلخص الدكتور علي عبد الفتاح المغربي أدلة المؤيدين بإيجاز كما ذكرها الإمام الإيجي في كتابه المواقف وهي:

أ - التزقي من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان. ب - إرشاد المسترشدين بإيضاح الحجة وإلزام المعاندين بإقامة الحجة. ج - حفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين. د - إنه تبنى عليه العلوم الشرعية، فإنه أساسها و إليه يؤول أخذًا واقتباسًا. هـ - صحة النية والاعتقاد، إذ بها يرجى قبول العمل، وغاية ذلك كله الفوز بسعادة الدارين.⁽³⁷⁾ ومزيد من التفصيل ذكر الدكتور حسن محمود الشافعي موقف المؤيدين لعلم الكلام وأدلتهم ودفاعهم عنه معتمدين على نصوص دينية وعلى كلام للأئمة الأربعة المتبوعين وغيرهم، ويقول فضيلته إن أنصار علم الكلام كتبوا مدافعين عن جواز الاشتغال به شرعا حتى ذهب بعضهم إلى وجوبه كفايا أو عينيا في بعض الأحيان، كما يقول أحد المتكلمين السابقين، وصرح بفرضيته على الكفاية إمام الحرمين والحلي والبيهقي والغزالي والنووي وابن عساكر ... وصرح به الطيبي في " شرح المشكاة " والحلي في " شرح جمع الجوامع "، وقال الإمام ابن حجر الهيثمي في " شرح المشكاة " إنه أكد فروض الكفايات، بل هو فرض عين إذا وقعت شبهة توقف حلها عليه، ويقول متكلم معاصر: حكمه - كما قال العلماء - الوجوب العيني على المكلف قبل الاشتغال بشيء، والواجب عليه ما يخرج عن التقليد، وأقله معرفة كل عقيدة بالدليل الإجمالي والواجب الكفاي على الأمة الإسلامية، والواجب عليها ما يقتدر معه على تحقيق مسائل الكلام بإقامة الأدلة التفصيلية عليها حتى لا تكون فتنة ولا شبهة ".⁽³⁸⁾ والدارس للتراث العقدي يجد كبار

³⁶ عبد الحلیم محمود، الإسلام والعقل (القاهرة: دار المعارف 1980) ص 165.

³⁷ علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية مدخل ودراسة (القاهرة: مكتبة وهبة 1995) ص 103-104.

³⁸ حسن محمود الشافعي، المدخل إلى دراسة علم الكلام، الطبعة الثانية (القاهرة: مكتبة وهبة 1991) ص 37.

المتكلمين ليسوا متبحرين في المسائل العقدية فقط، بل في الفقه وأصوله والتفسير والحديث والتصوف والأدب، بل في الفلسفة و سائر العلوم العقلية والطبيعية. وإذا أردنا تصنيف أئمتنا الكلاميين أمثال الباقلاني وأبي اسحاق الاسفرايني والجويني والغزالي والرازي والآمدي والتفتازاني حسب علومهم وتخصصاتهم وجدناهم حقا موسوعيين إن صح هذا التعبير.

المطلب الثالث: ضرورة التأكد من أقوال الأئمة وحيثيات هذه المقولات وما صدقاتها :

وبالرغم من هذه الإيجابيات وكون رجال علم الكلام السني من عباقرة علماء الإسلام، نجد في التراث العقدي هذا التنافر والتباغض بين المؤيدين والمعارضين لعلم الكلام. وناهيك الخلافات الداخلية في مناقشة المسائل العقدية بين فرقة وفرقة أو بين عالم وعالم، ومن أغرب ما قرأناه لابن حزم نظرتة للإمام الأشعري وأصحابه وكأنهم ليسوا ممثلين لأهل السنة والجماعة بل أبعد الناس عنهم، يقول ابن حزم في كتابه " الفصل " أثناء حديثه عن الفرق الإسلامية:

(... فأقرب فرق المرجئة إلى أهل السنة من ذهب مذهب أبي حنيفة بن النعمان بن ثابت رحمه الله.... وأبعدهم أصحاب جهنم بن صفوان وأبو الحسن الأشعري ومحمد بن كرام السجستاني، فإن جهنم والأشعري يقولان إن الإيمان عقد بالقلب فقط وإن أظهر الكفر والتثليث بلسانه وعبد الصليب في دار الإسلام بلا تقية، ومحمد بن كرام يقول هو القول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه.⁽³⁹⁾ والجدير بالذكر ما ذكره المحققان لكتاب الفصل إزاء ما ذكره ابن حزم رحمه الله، وقد قال المحققان: " وإن أظهر الكفر ... إلخ"، وهذا لا يقول به الأشعري، لأنه يقول: لا يتحقق الإيمان بدون الإسلام وكذا العكس، ولذلك قال ابن السبكي في الطبقات ما معناه أن ابن حزم لا يحقق مذهب الأشعري.⁽⁴⁰⁾ والإمام البغدادي يشرح معنى التصديق عند الأشعري هو أنه لا يكون صحيحا إلا بالمعرفة. وذكر الإمام الشهرستاني أن الأشعري قال مرة في معنى التصديق إنه المعرفة بوجود الصانع، ومرة قال إنه قول في النفس يتضمن المعرفة ثم عنه بالإقرار باللسان باللسان.⁽⁴¹⁾ وهذا مثال لضرورة التأكد من النصوص وفهم مقصودها و ظروف ورود النصوص و حيثياتها. ومن خلال ما ذكره السبكي والبغدادي والشهرستاني يتضح لنا أن تتبع النصوص والتحقيق من صحتها وفهم مرادها لم يكن وليد حاجة الآن فقط، بل نجد في التراث أيضا جهودا جبارة على أيدي أئمتنا الكبار. ولنا ما بذله أئمتنا المحدثون في علم الجرح التعديل ودراسة السند والمتن في الحديث خير اسوة في ذلك.

³⁹ حسن محمود الشافعي، المدخل إلى دراسة علم الكلام، الطبعة: الثانية (القاهرة: مكتبة وهبة 1991) ص 37.

⁴⁰ ابن حزم، الفصل بين الملل والأهواء والنحل، ج 2 (بيروت: دار الجيل، 1985) ص 265-266.

⁴¹ المرجع السابق، ص 265-266.

المطلب الرابع: المقصود بدم الإمام الشافعي لعلم الكلام كما بين الإمام ابن عساكر:

إن النظرة الموضوعية وتطور علم الكلام واختلاف مناهجه ومراميه لدى الفرق الكلامية المختلفة جعلت الإمام ابن عساكر يوضح مقصود الإمام الشافعي من كراهيته لعلم الكلام وذمه له حيث قال: " إن كراهية الشافعي لعلم الكلام لا تنصرف إليه كعلم، وإنما تنصرف إلى كلام القدرة وأهل الأهواء والبدع ... بل يروى أنه قد ناقش هؤلاء وأبطل أدلتهم وبلغ في علم الكلام مبلغاً عظيماً.⁽⁴²⁾ وإن النظرة الموضوعية مع الالتزام بعدم معرفة الحق بالرجال لمن أكبر الوسائل لإزالة الخلافات والخصومات وإيجاد الوفاق والتآلف بين وجهات النظر وإبداء النقد البناء دون التعصب أو التغابن.

وقد أحسن الأستاذ عبد الفتاح علي المغربي عندما لخص أقوال الأئمة الذين حرسوا العقيدة ودافعوا عنها بقوله " إن المعارضة المطلقة لعلم الكلام وأنه محرم في ذاته أمر عسير لا يمكن قبوله بإطلاق. لذلك نجد فريقاً توسط بين المعارضة المطلقة والتأييد المطلق لعلم الكلام وهؤلاء يميزون بين موضوعات علم الكلام.. فمنه الكلام المحمود ومنه الكلام المذموم.. وأيضاً من حيث المشتغلين به والممنوعين من الاشتغال به. والكلام المحمود هو المباحث الخاصة بإثبات الواجب لله تعالى وصفاته والنبوة والمعاد على قانون الإسلام. وهذه المسائل أصل العلوم الشرعية وأساسها وهي تفصيل الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر على الإيقان والإتقان. وهذه المباحث المذكورة لتقوية الكتاب والسنة لا لمخالفتها فلا حرمة ولا كراهة فيها... بل هي فرض. فمعرفة هذه المباحث على وجه الإجمال فرض عين على كل مسلم وعلى وجه التفصيل من فروض الكفاية. وأيضاً فيه حراسة العقيدة على العوام... وحفظها عن تشويشات المبتدعة."⁽⁴³⁾

والجدير بالذكر أن الاشتغال بالمسائل الإيمانية (بعلم الكلام) التي ذكرناها سابقاً لم تكن تتوقف إلى الآن منذ عصر الصحابة. والسلف الصالح كان جل همهم حماية هذا الدين عقيدة وشريعة وأخلاقاً أو بعبارة أخرى إسلاماً وإيماناً وإحساناً. وذم الإمام الشافعي وغيره من السلف لعلم الكلام في حد ذاته دليل على اشتغالهم بهذا العلم، وتحذيرهم من علم الكلام لا ينطبق إلا على علم الكلام المذموم الذي يخالف ما عليه القرآن والسنة. انطلاقاً مما ذكرناه وفهمناه من نصوص

⁴² المرجع السابق، ص 105.

⁴³ المرجع السابق، ص 107-108.

للإمام الشافعي وغيره من الأئمة نقول بحق ويقين بأن ذم علم الكلام عند هؤلاء لم يقصد به ما يتعلق بأركان الإيمان بل هؤلاء الأئمة الأربعة المشهورين وغيرهم ذموا علم الكلام الذي يتصادم مع عقيدة الإسلام من هذه الأركان الإيمانية. وإن فهمهم للإيمان بأركانه كما جاء في القرآن والسنة الصحيحة هو الذي دفعهم لدم علم الكلام المخالف ومن ثم إن علم الكلام المحمود الذي جاء لدحض علم الكلام المذموم المتغلغل بين المعتزلة والقدرية والجبرية والمجسمة والمشبهة، قد ظهر على أيدي أئمتنا فيما بعد. فإذن لا نستغرب من عدم وجود تعريف لعلم الكلام المعروف لدينا نحن أهل السنة والجماعة عند الإمام الشافعي وغيره من الأئمة الأوائل من السلف الصالح كما وجدنا عند من أتوا بعدهم.

وعلم الكلام من حيث مسائله وأركانه لم تكن مختلفة بين علماء أهل السنة والجماعة وإنما الاختلاف كان في تسميته فقط. وقد ذكر فضيلة الدكتور حسن محمود الشافعي عدة أسماء عرف بها هذا العلم لدى المختصين به على مدي العصور الماضية ومنها: علم الفقه الأكبر وعلم الكلام وعلم أصول الدين وعلم العقائد وعلم التوحيد والصفات وعلم التوحيد وعلم النظر والاستدلال، وبعد ذكر هذه الأسماء مع دراسة مستفيضة عن كل اسم والقاتل به وعصره يجتم فضيلته هذا البحث بقوله " ولو كان في مقدورنا الآن ترويج تسمية معينة لهذا العلم من بين هذه التسميات لاقترحنا أن يسمى " الفقه الأكبر " لاعتبارات علمية منها :

- أ - أنها تسمية ذات أسس عريقة قرآنية فضلا عن خلوها من المآخذ والتهم التقليدية التي تثيرها التسمية المشهورة بـ " علم الكلام " .
- ب - أنها تبين ارتباط هذا العلم بعلوم الشريعة الإسلامية ومكانته بين تلك العلوم من ناحية، كما أنها من ناحية أخرى تتيح له التوسع والتفتح ليتضمن بحث الأصول الفكرية للدين الإسلامي سواء كانت مما يلزم اعتقاده أو مما ينبثق عن هذه العقيدة أو يرتبط بها من أصول ومبادئ عامة تصور موقف الإسلام من الكون والحياة والإنسان، وتقدم الأسس الأيديولوجية للنظم والأحكام العملية المختلفة التي تحتويها الشريعة الإسلامية المعروفة باسم الفقه، وقد تليها في نظري التسمية بأصول الدين⁽⁴⁴⁾.

44 حسن محمود الشافعي، المدخل إلى دراسة علم الكلام، الطبعة: الثانية (القاهرة: مكتبة وهبة 1991) ص 26-31.

الخاتمة:

ومن خلال قراءة تراثنا العقدي المتمثل فيما صنفه أئمتنا الأشاعرة والماتريدية قديما وحديثا نرى بوضوح ونفهم يقينا مدى عنايتهم ودقتهم وحرصهم الشديد في فهم عقيدة الإسلام كما وضعه القرآن الكريم وبينته السنة النبوية الشريفة، مع تقديرهم العميق بقوة العقل الذي ميز الله به الإنسان عن سائر مخلوقاته وحدود طاقته. وكون معظم عباقرة الأشاعرة من أئمة المذهب الشافعي ومعظم المتكلمين من أهل السنة والجماعة من أقطاب أحد المذاهب الفقهية الأربعة خير دليل على نزاهة أئمة أهل السنة والجماعة من الاشتغال بعلم الكلام المذموم الذي كرهه الإمام الشافعي وغيره من الأئمة. لأن هؤلاء الأئمة لا يمكن أن يذموا كلاما قد أقره القرآن وبينته السنة. ولم يكن الشيخ ابن تيمية مبالغا عندما قال: ⁽⁴⁵⁾ والسلف لم يذموا جنس الكلام. فَإِنَّ كُلَّ آدَمِيٍّ يَتَكَلَّمُ وَلَا ذَمُّوا إِلَّا سِتْدَلَالَ وَالنَّظَرَ وَالْجَدَلَ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ رَسُولُهُ وَالْإِسْتِدْلَالَ بِمَا بَيَّنَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بَلْ وَلَا ذَمُّوا كَلَامًا هُوَ حَقٌّ؛ بَلْ ذَمُّوا الْكَلَامَ الْبَاطِلَ وَهُوَ الْمُخَالَفُ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَهُوَ الْمُخَالَفُ لِلْعَقْلِ أَيْضًا وَهُوَ الْبَاطِلُ ⁽⁴⁶⁾(35). وإن النظرة الموضوعية مع الالتزام بعدم معرفة الحق بالرجال لمن أكبر الوسائل لإزالة الخلافات والخصومات وإيجاد الوفاق والتآلف بين وجهات النظر وإبداء النقد البناء دون التعصب أو التغابن. وهي لن تتحقق إلا بتوعية المسلمين وخاصة أولئك الذين ينادون إلى العودة للكتاب والسنة ونبد المذاهب زعما منهم أنها على خلاف ما عليه القرآن والسنة.

REFERENCES

- ‘Abd al-Halim Mahmud. *Al-Islam Wa al-‘Aql*. Cairo: Dar al-Ma’arif, 1980.
‘Abd al-Karim Tatan; Muhammad al-Kilani. 1999. *‘Aun al-Murid Fi Sharh Jawharah al-Tawhid Fi ‘Aqidah Ahl al-Sunnah Wa al-Jama’ah*. Beirut: Dar al-Basha’ir.
‘Ali ‘Abd al-Fattah al-Maghribi. *Al-Farq al-Kalamiyyah Madkhal Wa Dirasah*. Cairo: Maktabah Wahbah, 1995.
Abu al-Tayyib Muhammad Siddiq Khan Ibn Hasan. *Abjad al-‘Ulum*. Cairo: Dar Ibn Hazm, 2002.
Abu Hanifah al-Nu’man Ibn Thabit. *Al-Fiqh al-Akbar*. Emirates: Maktabah al-Furqan, 1999.
Al-Alusi, Mahmud Ibn ‘Abdullah. *Ruh al-Ma’ani Fi Tafsir al-Quran al-‘Azim Wa al-Sab’ al-Mathani*. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1415H.
Al-Asbahani, Abu Muhammad Abdullah Ibn Muhammad. *Al-‘Uzmah*. Al-Riyad: Dar al-‘Asimah, 1408H.
Al-Asbahani, Abu Na’im Ahmad Ibn Abdullah Ibn Ahmad. *Hulyah al-Awliya’ wa Tabaqat al-Asfiya’*. Cairo: al-Sa’adah, 1974.

⁴⁵ المرجع السابق، ص 105.

⁴⁶ مجموع الفتاوى، ج: 13، ص: 147.

- Al-Asfarayini, 'Abd al-Qahir Ibn Tahir Ibn Muhammad. *Al-Farq Bayna al-Firqah Wa Bayan al-Firqah al-Najiyah*. Beirut: Dar al-Afaq al-Jadidah, 1977.
- Al-Bayhaqi, Ahmad Ibn al-Husayn Ibn 'Ali. *Al-Asma' Wa al-Sifat*. Jeddah: Maktabah al-Suwadi, 1993.
- Al-Ghazali, Muhammad Ibn Muhammad. *Ihya' 'Ulum Addin*. Beirut: Dar al-Ma'rifah, 2004.
- Al-Iji, 'Abd al-Rahman Ibn Ahmad. *Al-Mawaqif*. Beirut: Dar al-Jil, 1997.
- Al-Jurjani, 'Ali Ibn Muhammad. *Al-Ta'rifat*. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1983.
- Al-Qushayri, 'Abd al-Karim Ibn Hawzan. *Al-Risalah al-Qushayriyyah*. Cairo: Dar al-Ma'arif, n.d.
- Al-Sha'rani, 'Abd al-Wahhab. *Al-Yawaqit Wa al-Jawahir Fi Bayan 'Aqa'id al-Akabar al-Sufiyyah*. Cairo: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, (n.d.).
- Al-Tabari, Muhammad Ibn Jarir Ibn Yazid. *Jami' al-Bayan Fi Ta'wil al-Quran*. Beirut: Mu'assah al-Risalah, 2000.
- Al-Zabidi, Muhammad Ibn Muhammad Ibn Husayni. *Ithaf al-Sadah al-Muttaqin Bi Sharh Ihya' 'Ulum al-Din*. Beirut: Mu'assah al-Tarikh al-'Arabi, 1994.
- Hasan Mahmud al-Shafi'i. *Al-Madkhal ila Dirasah 'Ilm al-Kalam*. Cairo: Maktabah Wahbah, 1991.
- Ibn Abd al-Barr, Yusuf Abdullah. *Jami' Bayan al-Ilm Wa Fadluh*. Al-Dammam: Dar Ibn al-Jawzi, 1994.
- Ibn Hazm. *Al-Fasl Bayna al-Milal Wa al-Ahwa' wa al-Nihal*. Bayrut: Dar al-Jayl, 1985.
- Ibn Khaldun, 'Abd al-Rahman Ibn Muhammad. *Diwan al-Mubtada' Wa al-Khabar Fi Tarikh al-'Arab Wa al-Barbar Wa Man 'Asirahum Min Zawi al-Sha'n al-Akbar*. Beirut: Dar al-Fikr, 1988.
- Ibn Taymiyyah, Ahmad Ibn 'Abd al-Halim. *Majmu' al-Fatawa*. Madinah Munawwarah: Majma' al-Malik Fahd li tiba'ah al-Mushaf al-Sharif, 1995.
- Muhammad 'Abd al-Fadil al-Qusi. *Hawamish 'Ala 'Aqidah al-Nizamiyyah Li Imam al-Haramayn al-Juwayni*. Cairo: Dar al-Taba'ah al-Muhammadiyyah, 1984.
- Yahya Hashim Farghal. *Madkhal Ila al-'Aqidah al-Islamiyyah* (n.p.), 1985.